اليابان ووصية سبنسر لها

لقد وفقت اليابان اكثر مما وفقت دولة شرقية اخرى الى تعليم بعض ابنائها في مدارس اميركا وانكلترا والمانيا حيث قرأوا كتب كبار الفلاسفة فخرجوا منها واسعي المدارك احرار الافكار يسعون في مصلحة بلادهم على اسلوب يفيدها ولا يضرّ بها . ومن هؤلاء الرجال رجل اسمهُ البارون كنتارو كانيكو وقد أُعطي لقب بارون بعد ذلك مكافأة لهُ . فانهُ درس في مدرسة هارفرد الجامعة باميركا ولما عاد الى بلادهِ تقلّب في كثير من مناصبها وكان اليد اليمنى للمركيز ايتو وزير الصين الاعظم وله الشأن الاكبر في تنظيم البارلمنت الياباني . انتخب سنة ١٨٩٠ عضوًا في مجمع الشرائع الدولية او حقوق الدول الذي يعقد عادة في مدينة جنيفا بسويسرا وكانت اليابان ترقب هذا المجمع لترى ما يكون رأيهُ في اشتراكها مع الدول الاوربية . ومن المقالات التي تليت فيهِ مقالة للسر ترافرس توس المعدود في الطبقة الاولى بين علماء القوانين الدولية اشار فيها على الممالك الشرقية ان تبقى منفصلة عن الممالك الاوربية فقصد البارون كانيكو ان يناضلهُ ويبين لهُ ولعلماء القوانين المجتمعين هناك ان اليابان حرية بان تعامَل معاملة خاصة فتنتظم في سلك الدول الاوربية وتعطى حقوقها . واستأذن حكومتهُ في المجيء الى جنيفا لهذه الغاية ليحضر اجتماع هذا المجمع سنة ١٨٩٢ . وكان قد قرأ كتب هربرت سبنسر واستقى من معين فلسفتهِ وودّ ان يراهُ وجهًا لوجه ويسألهُ رأيهُ في بعض المسائل الهامة . ومرّ باميركا في طريقهِ الى اوربا وطلب من الاستاذ جون فسك الاميركي كتابًا الى الفيلسوف هربرت سبنسر ليقابلهُ بهِ فابى فسك لعلمهِ بانقطاع سبنسر عن مقابلة الناس لكن البارون لجّ عليهِ في الطلب فاجابهُ الى طلبهِ وسلمهُ الكتاب فسار بهِ الى انكلترا وارسلهُ الى سبنسر مع كتاب آخر منهُ بيّن لهُ فيهِ غرضهُ من طلب زيارتهِ فجاءهُ الجواب من سبنسر حالاً يدعوهُ الى بيتهِ واستمرّت المقابلة الاولى ساعتين فان سبنسر كان قد جمع امورًا كثيرة متعلقة بتاريخ اليابان وسياستها وعادات اهلها واديانهم واخلاقهم فجعل يسأل البارون كانيكو عن كل صغيرة وكبيرة منها وسرّ بذلك جدًا حتى انهُ ركب معهُ واعادهُ الى النزل الذي كان فيهِ وعرض عليهِ ان ينتظم في عضوية نادي الاثينيوم لكي يراهُ كل يوم لانهُ كان عضوًا في ذلك النادي وكان يتغدّى فيهِ . وبعد قليل أُعلن للبارون كانيكو انهُ قُبل عضوًا في ذلك النادي ودعاهُ سبنسر للغداء في اليوم التالي

وذهب البارون كانيكو الى جنيفا وتلا مقالة بليغة في مجمع الشرائع الدولية طلب فيها ان تعطى اليابان حقوق الدول الاوربية وذاكر اعضاءهُ واقنع كثيرين منهم بصحة طلبهِ وعاد

الى انكلترا يسعى لدى رجال الحكومة الانكليزية في تحقيق امنيته وقابل سبنسر وهو ينتظر منهُ كل تعضيد فرآهُ على ضد ما انتظر يشير عليهِ بان تبقى اليابان منفصلة عن الدول الاوربية، جيدها . واحتدمت نار الجدال بين الاثنين لكن الغلبة كانت لسبنسر لانهُ جمع من اخبار الممالك وحوادث الامم ما تضيق بهِ الكتب وعرف من اخلاق الناس وعاداتهم ومعتقداتهم ما اوصلهُ الى احكام مقررة لا تتغير . ثم كتب لهُ الكتاب التالي جامعاً فيهِ زبدة ما اشار بهِ عليهِ وارشدهُ اليهِ وهذا تعريبهُ

"سيدي العزيز . اني اجيبك الى ما طلبتهُ وهو ان ترسل ترجمة كتابي الى الكونت ايتو وزير اليابان الجديد فافعل ما تريد . اما من جهة المسائل الاخرى التي سألتنيها فاقول بوجه عام ان سياسة اليابان يجب ان تكون ابعاد الاميركيين والاوربيين عنها ولو قيد ذراع . فان موقفكم حرج والخطر المحدق بكم مزمن لوجود امم اخرى اقوى منكم فابذلوا اقصى جهدكم في منع الاجانب من ان يتمكنوا في بلادكم

"ويظهر لي ان المعاملات التي تفيدكم ولا تضرُّ بكم انما هي المعاملات اللازمة لتبادل الحاصلات الطبيعية وغير الطبيعية من صادرات وواردات . فلا تمنحوا امتيازات لامم اجنبية وخصوصاً الامم التي هي اقوى منكم الاَّ ما كان لازماً منها لهذه المعاملات . فاني ارى انكم تريدون من تنقيح المعاهدة التي بينكم وبين دول اوربا واميركا ان تفتحوا سلطنتكم كلها الاجانب ولاموالهم فساءني هذه السياسة لانها الضربة القاضية عليكم . فاذا اردتم ان تعلموا ما سيحلُّ بكم فاقرأوا تاريخ الهند . أنيلوا احدى الدول القوية موطئ قدم في بلادكم ومستنداً تستند اليهِ فتتحول الى الاعتداء عليكم بمر الزمن ويفضي الامر الى وقوع النزاع بينها وبينكم فتشيع ان ذلك النزاع انما هو اعتداء منكم عليها فيجب ان تثأر لنفسها منكم . فتضع يدها على قسم من بلادكم وتستعمرهُ بابنائها وتتخذهُ قاعدة تحمل منها عليكم لاخضاع سائر السلطنة اليابانية . نعم انكم تجدون المصاعب العظيمة في تجنُّب هذا الخطر ولكن اذا منحتم الاجانب امتيازات غير التي ذكرتها سهَّلتم عليهم ما يسعون اليهِ

"ولتفصيل هذا الاجمال اقول جواباً عن سؤالكم الاول انهُ يجب ان تمنعوا الاجانب من امتلاك ارض في بلادكم ومن استئجارها الى مدة طويلة وانما تسمحون لهم باستئجارها سنة فسنة

"واقول جواباً عن السؤال الثاني امنعوا الاجانب من التعدين في مناجم حكومتكم منعاً تاماً لان ذلك قد يفضي الى وقوع النزاع بين الاوربيين او الاميركيين الذين التزموا المعادن وبين الحكومة فيستنجد الملتزمون بدولهم ويطلبون منها ان ترسل الجنود لانصافهم وانالتهم ما يطلبونهُ

معها جاروا في طلبهم. والعادة عند الاوربيين ان يصدقوا جميع ما يقول وكلاؤهم وعملاؤهم الذين في الخارج

"واقول جواباً عن السؤال الثالث انهُ يجب عليكم ان تبقوا تجارة سواحلكم في ايديكم ولا تجعلوا للاجانب يداً فيها اما الاصناف التي تأتيكم من الخارج ويباح للاجانب ان يأتوكم بها فليكن موزعوها والمتاجرون بها في البلاد منكم لا من الاجانب الذين يأتون بها الى بلادكم لئلا يفضي ذلك ايضاً الى خصومات كثيرة تجر التعدي على املاككم

"اما سؤالكم الاخير المتعلق بالتزوج من الاجانب وهو السؤال الذي يشغل علماءكم وساستكم وتعدونهُ من اصعب المسائل كما قلتم في كتابكم فليس بالصعب حقيقة وجوابي عنهُ ان تمنعوا مزاوجة اليابانيين والاجانب. وهذه المسألة ليست من شأن الفلسفة الاجتماعية بل من شان علم الحياة (البيولوجيا). فانهُ ثبت من تزاوج اصناف البشر المختلفة وتزاوج اصناف النباتات المختلفة انهُ اذا زاد الاختلاف بين الاصناف المتزاوجة عن حد معين كان النتاج ضعيفاً وقد سمعت ما يؤيد هذا الامر منذ نصف ساعة فقط فاني نازل هذه الايام ضيفاً على رجل معروف في الجبل وخبير بتربية المواشي وقد اكد لي انهُ اذا تزاوج صنفان من الغنم يختلف احدهما كثيراً عن الآخر كان نتاجهما ضعيفاً جداً وخصوصاً في العقب الثاني. وهكذا يحدث بين البشر كما ترون في المتولدين بين الهنود والاوربيين. والسبب الفسيولوجي في ذلك هو على ما يظهر ان كل صنف من الاصناف يكتسب على مر الايام مزايا وصفات تؤهلهُ لحالة خصوصية من حالات الحياة فاذا تزاوج صنفان مختلفان اختلافاً عظيماً في اصلهما وفي احوال الحياة التي اعتاداها جاء نتاجهما فاقداً لمزايا كلٍّ منهما غير صالح لحال من احوال حياتهما. ومهما يكن من ذلك كلهِ فوصيتي لكم ان تمنعوا تزاوج اليابانيين والاجانب

"وبناء على ما تقدم استصوبت القوانين التي سنتها اميركا لتقليل مهاجرة الصينيين اليها ولو استطعت لقللت مهاجرتهم اليها ما امكن وذلك لانهم اذا استمروا على المهاجرة فاما ان يحافظوا على قوميتهم ولا يزاوجوا الاميركيين فيكونوا كالعبيد بينهم. واما ان يزاوجوهم فيأتي نسلهم ضعيفاً فالنتيجة ضرر على الاجتماع الانساني في الحالين وبالتالي صيرورة هذا الاجتماع فوضى وهذا ما يحدث اذا تُرك الاوربيون والاميركيون يزاوجون اليابانيين. فترى من ذلك ان وصيتي تقضي العزلة من كل وجه. واختم كتابي بما بدأتهُ وهو ان تبعدوا الامم الاخرى عنكم ما استطعتم. هذه هي نصيحتي امرُّها اليكم راجياً ان لا تذاع في حياتي لاني لا احب ان اهيج ابناء وطني ولا ان اسخطهم عليَّ

هربرت سبنسر

"صح قلت اني اروم ان يبقى كتابي هذا سرًّا ما دمت حيًّا ولكن لا يخفى عليكم اني لا أُريد بذلك القول ان تكتموهُ عن الكونت ايتوبل اريد ان تطلعوهُ عليهِ ليجلهُ محل النظر والاعتبار"

وتاريخ هذا الكتاب ٢٦ اغسطس سنة ١٨٩٢ ويقول المطَّلعون على احوال اليابان انها جعلتهُ قاعدة لسياستها وجرت عليهِ تمامًا فلم تشارك الدول الاوربية في شيء الاَّ بعد ان قوي ساعدها ولم تعد تخشى اعتداءهم عليها. ثم لما رأت ان هذه المشاركة قد توقعها في مشاكل لا تقوى عليها وحدها تحالفت مع الدولة التي تنتظر منها المساعدة الكبرى في بلادها النائية وهي انكلترا سيدة البحار فحالفتها ووقفت في اقاصي المشرق عزيزة الجانب تناظر روسيا وتتحدَّاها

وخلاصة وصية سبنسر ان الضعيف يجب انْ يتعلم من القوي ويتجنبهُ الى ان يقوى ويصير بمأمنٍ منهُ . ولكن لو عمَّت حقوق الدول لصارت الممالك الضعيفة في غنًى عن هذه الوصية وهذا التجنُّب فان في اوربا ممالك صغيرة لا تتجنَّب الممالك الكبيرة التي حولها ولا تخشى من اعتدائها عليها لانها خاضعة كلها لما يُعرَف بقانون حقوق الدول

سكان مصر الاقدمون

ان تاريخ مصر المسطَّر في كتب المؤرخين الاقدمين وفي ما كُشف من الكتابات المصرية يمتد الى عهد الملك مينا وهو اول ملك من ملوك الدولة الاولى التي قامت قبل المسيح بنحو ٤٤٠٠ سنة على ما استنتجهُ العلاَّمة برغش او قبل المسيح بنحو ٥٠٠٠ سنة على ما استنتجهُ العلاَّمة ماريت لكن سكنَ القطر المصري امم كثيرة قبل زمن الملك مينا كُشفت آثارها فيهِ منذ عهد قريب . واقدم هذه الآثار موجود في الصحراء على جانبي وادي النيل واكثرها من الظران اي قطع الصوان التي كان الاقدمون يكسرونها ويسوُّونها لتكون نصالاً للسهام وسكاكين للقطع وادوات للحرب

وقد كان هذا القطر منخفضًا بفعل طبيعي بركاني وكان ماء النيل يغمرهُ ويعلو مئات من الاقدام فوق الحد الذي يبلغهُ الآن . ثم اخذت ارضهُ ترتفع رويدًا رويدًا بفعل طبيعي والنيل ينحسر عنها وينخفض بارتفاعها الى ان بلغ الحد الذي يبلغهُ الآن

ويظهر من تقدير العلمي الذي يرسب في النيل سنويًّا ان الزمن الذي ابتدأَ فيهِ ماء النيل ينحسر عن واديهِ وتظهر الارض الزراعية ليس بعيدًا جدًّا فقد قال الاستاذ بتري انهُ كان قبل المسيح بنحو سبعة الآف او ثمانية الآف سنة ومن رأيهِ ان الانسان هاجر الى هذا القطر